مات خادم السنة النبوية

الشيخ عبد القادر الأرناؤوط

✍ الشيخ زهير الشاويش

انتقل إلى رحمة الله تعالى صباح يوم الجمعة الثالث عشر من شوال ١٤٢٥هـ الموافق ٢٠٠٤/١١/٢٦م أخي الغالي ، وصاحبي في العمل ، وصديقي الوفي العالم المحقق الشيخ عبد القادر (قدري) المشهور بـ (الأرناؤوط) ، الدمشقي تغمده الله برحمته ، وأدخله فسيح جنته ، وعوَّض أهله وأولاده والمسلمين بفقده ، خيراً . ولله ﷻ ما يشاء ، ولنا التسليم التام بكل ما يصيبنا من قضاء وقدر .

الشيخ عبد القادر جاء والده من كوسوفا في يوغسلافية ، وأقام في دمشق في حي الديوانية ، وفيه مجموعة من الألبان ، فنسب إليهم ، ولم يكن عنده ما عرفنا من بعضهم من شدة !!

وكان مولده سنة ١٣٤٦هـ الموافق سنة ١٩٢٧م .

نشأ الأخ عبد القادر في بيئة دينية فيها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ثم التحق بمدارس الفتح الإسلامي ، التي أسسها الشيخ صالح فرفور عليه رحمة الله .

وبعد ذلك عمل مدرساً وواعظاً في مدرسة الإسعاف الخيري في رعاية الأيتام .

وفي سنة ١٣٧٧هـ الموافق سنة ١٩٥٧م انتقل إلى المكتب الإسلامي الذي أسسته في دمشق ، وهناك ظهر نبوغه بقيامه بنشر آثار السلف الصالح مع مجموعة من أهل العلم والفضل ومنهم الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، والدكتور محمد لطفي الصباغ ، والشيخ شعيب الأرناؤوط ، والشيخ عبد القادر الحتاوي ، والشيخ إسماعيل الكيلاني ، وآخرون .

وعمل فترة مديراً للمكتب الإسلامي بعد سفري خارج سورية لظروف قاهرة

سنة ١٩٦٣م ، وكان عمله في المكتب الإسلامي أكثر من عشر سنوات منقطعاً له ، ثم متعاوناً مع المكتب ، حتى وفاته رحمه الله .

وهناك تأثر بالمنهج السلفي السليم ، فأصبح من أكبر دعاته في سورية ، وظهر ذلك في دعوته العامة في دروسه ومساجده وتلامذته ، وفي تحقيقاته للكتب مثل باقي إخوانه في المكتب الإسلامي .

وشارك في تحقيق عدد من إصدارات المكتب معيناً لصاحبه ، وللشيخ ناصر ، والشيخ شعيب والدكتور الصباغ والشيخ الحتاوي ، والشيخ أحمد القطيفاني ، وغيرهم . فشارك بتحقيق عدد من الكتب المخطوطة ، والتي طبع أكثرها المكتب الإسلامي ، مثل : " الكلم الطيب " ، و " مشكاة المصابيح " ، و " روضة الطالبين " ، و " زاد المسير " وساعد في إعداد مؤلفات الشيخ ناصر الدين الألباني ، مثل " صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته الفتح الكبير " ، و " شرح العقيدة الطحاوية " ، و " سلسلة الأحاديث الصحيحة والضعيفة " ، و " شرح ثلاثيات مسند الإمام أحمد " ، و " الروضة " ، و " زاد المسير " ، وكتب الفقه الحنبلي ، وغير ذلك .

ثم انفرد بعد ذلك بأعمال قيِّمة أتقن العمل بها ، أحسن الله إليه ، مثل كتاب " جامع الأصول " .

وكان من أواخر أعماله إعادة تحقيق كتاب " شرح ثلاثيات مسند الإمام أحمد " للمكتب الإسلامي ، وهو تحت الطبع الآن ، وكانت آخر رسالة منه إليَّ بتاريخ الأول من شوال ١٤٢٥هـ للتهنئة بالعيد ، وراغباً باستعجال طبع شرح الثلاثيات ، ولعلها آخر رسالة كتبها – رحمه الله – .

وكانت الصلات عامرة بينه وبين الشيخ عبد العزيز بن باز – رحمه الله – ، حيث كان الشيخ عبد العزيز يقدِّر الشيخ عبد القادر وجميع العاملين في المكتب الإسلامي ، وكان للشيخ ابن باز مع الشيخ عبد القادر علاقة خاصة ، دلَّت على تقديره البالغ له ، ومنها تعيينه واعظاً في كوسوفا ، وذهب إلى بلاده الأصلية (يوغسلافية) أكثر من مرة يعظ الناس ، ويدلهم على الخير (وكان يتقن لغتهم) .

وكان الشيخ عبد القادر متأثراً جداً بالعمل العام الذي يقوم به الأستاذ عصام العطار ، وبالدعوة السلفية السليمة التي يقوم بها الأستاذ عبد الرحمن الباني ، وبعض إخوانه .

وكان – رحمه الله – سهل العبارة فصيح اللسان ، حسن الاستشهاد بالأحاديث النبوية الصحيحة ، وبما كان عند السلف الصالح من مواعظ مختارة منتقاة .

وكان يحضر الطلاب من بلاده الأولى ، ومن تركية للدراسة في الشام أو في المملكة العربية السعودية ، ويسعى في تأمين ما يلزمهم من المساعدات المالية والعلمية وغيرها .

وقد نكب الشيخ عبد القادر – رحمه الله – أكثر من مرة ، فقد أصيب بوفاة زوجته الأولى أم محمود – رحمها الله – بحادث مؤلم .

ثم لقي المتاعب من قبل بعض الجهات، فمنع من الخطابة ، والتعليم ، وحضور الاجتماعات ، ثم إلزامه البقاء في بيته لفترات ، مع أنه كان رقيق الوعظ ، حسن النصح للناس .

والتف الناس حوله محبين له مستفيدين من علمه ، ومنهم مجموعة من طلاب العلم الذين تخرّجوا على يديه ، وفيهم من بلغ منـــزلة عالية وكبيرة في سورية ، وغيرها .

وقد صلي عليه في جامع زين العابدين التونسي الحسيني عقب صلاة الجمعة ، وشهده الخلق الكثير ، ثم دفن في مقبرة الحقلة ، وأَبَّنه وعَدَّد فضائله شيخ القرَّاء العلامة محمد كريّم راجح .

تغمده الله برحمته ، ولله ما أخذ ولله ما أعطى ، وكل شيء عنده بأجر . وأرجو الله أن يكون عوناً لأهله وأولاده الثمانية وبناته الثلاث ، وأن ينبتهم النبات الحسن ، ويحسن إليهم .. ﴿ **وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا** ﴾ .

والحمد لله على كل حال ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .